مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(٢ كورنثوس ٤: ٦-١٥)

يا إخوةُ إنّ اللهَ الذي أمرَ أن يُشرِقَ من ظُلمةٍ نورٌ هو الذي أشرقَ في قلوبِنا لإنارةِ معرفةِ مجدِ اللهِ في وجهِ يسوعَ المسيح* ولنا هذا الكنزُ في آنيةٍ خزَفيَّة ليكونَ فضلُ القوَّةِ لله لا منَّا* مُتضايقين في كلِّ شيءٍ ولكن غيرَ منحصرين. ومتحيِّرين ولكن غيرَ يائسين* ومُضطَهدين ولكن غيرَ مخذولين. ومطروحين ولكن غيرَ هالِكين* حاملين في الجسدِ كلَّ حينٍ إماتةَ الربِّ يسوعَ لتظهرَ حياةُ يسوعَ أيضاً في أجسادِنا* لأنَّا نحن الأحياءَ نُسلَّمُ دائماً إلى الموتِ من أجل يسوعَ لتظهرَ حياةُ المسيح أيضاً في أجسادِنا المائتة* فالموتُ إذاً يُجرى فينا والحياةُ فيكم* فإذ فينا روحُ الإيمانِ بعينِه على حسَبِ ما كُتِبَ إنّي آمنتُ ولذلك تكلّمتُ فنحنُ أيضاً نؤمِنُ ولذلك نتكلَّمُ* عالمينَ أنَّ الذي أقامَ الربَّ يسوعَ

العدد ٤٥/٢٠٠٧

الأحد ١١ تشرين الثاني

تذكار القديسين الشهداء ميناس وفكتور وفيكنديوس والقديسة الشهيدة استفانيس وأبينا البار ثاودورس الأسطوديتي المعترف

اللحن السابع

صورة الرسول بطرس في إنجيل متى

«وإذ كان يسوعُ ماشياً عند بحرِ الجليل، أبصرَ أخوين سمعانَ الذي يُقالُ له بطرسُ وأندراوسَ أخاهُ يُلقيان شبكةً في البحر، فإنّهما كانا صيَّادين، فقال لهما هلمَّ ورائي فأجعلكما صيَّادي الناس، فللوقتِ تركا الشِّباكَ وتبعاهُ» (متى ٤: ١٨-١٩).

تتّفق الأناجيل على المكانة المميّزة التي كان بطرس يحظى بها في مصاف الإثني عشر. فهو، بحسب رواية الإنجيلي متى، أول من دعاه السيّد، وذلك إلى جانب أخيه أندراوس. وحتى إنجيل يوحنا، الذي يورد تفاصيل أخرى مؤكّداً أنّ اتصال بطرس بالسيّد كان عبر أخيه أندراوس، يشدّد على أهميّة بطرس. فيسوع، ما أن يراه، يتوجّه إليه بكلمات مميّزة: «أنت سمعانُ بن يونا. أنت تُدعى صفا الذي تفسيره بطرس» (يو ١: ٤٢). والمعروف أنّ الإسم الآرامي الذي يسبغه السيّد هنا على سمعان، أي «صفا»، إنّما يعني الصخرة. والحقّ أنّ دعوة بطرس، كما يرويها الإنجيليّ متى، لا تتّخذ كامل أهميّتها ما لم نقرأها، لا كحادثة تاريخيّة فقط، بل كرواية تعبّر عن ردّ الفعل المثالي الذي يُنتظر أن يكون لكل تلميذ ليسوع، ما أن يسمع صوت معلّمه. فكلّ تلميذ مطالَب، بمعنًى ما، أن يترك «شباكه للوقت»، أي أن ينصرف حالاً عن كلّ ما يمكن أن يشغله من متطلّبات الدنيا ليقتفي آثار معلّمه، حتى لو كان ثمن ذلك التخلّي عن الغالي والنفيس.

بيد أنّ المكانة التي يتمتّع بها الرسول بطرس في إنجيل متى لا تقتصر على نصّ الدعوة الذي أوردناه أعلاه. والحقّ أنّ إنجيل متى يفرد لبطرس مقاطع لا نعثر على شبيه لها في الأناجيل الأخرى، ما يدلّ على مركزيّة شهادة بطرس عن القائم من بين الأموات في الجماعة الكنسيّة التي توجّه إليها إنجيل متى، والتي سبق وأكّدها الرسول بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس حين كتب: «فإنّني سلّمتُ إليكم في الأول ما قبلتُهُ أنا أيضاً أنّ المسيحَ ماتَ... وأنّهُ دُفنَ وأنّه قامَ... وأنّه ظهرَ لِصفا ثم للإثنَي عشرَ» (١كور ١٥:٣-٥). ففيما يكتفي إنجيل مرقس، مثلاً، بإشارة مختصرة

سيُقيمُنا نحنُ أيضاً بيسوعَ فننتصِبَ معكم* لأنَّ كلَّ شيءٍ هو من أجلِكم لكي تتكاثرَ النعمةُ بشُكرِ الأكثرينَ فتزدادَ لمجدِ الله.

الإنـجيل

(لوقا ١٠: ٢٥–٣٧)

في ذلك الزمان دنا إلى يسوعَ ناموسيٌّ وقال مجرِّباً له يا معلّمُ ماذا أعملُ لأرِثَ الحياةَ الأبديَّة* فقال لهُ ماذا كُتِبَ في الناموس. كيف تقرأُ* فأجابَ وقال أحبِبِ الربَّ إلهَك من كلِّ قلبِك ومن كلِّ نفسِك ومن كلِّ قدرتِك ومن كلِّ ذهنِك وقريبَك كنفسِك* فقال لهُ بالصواب أجبتَ. إعمَلْ ذلك فتحيا* فأراد أن يُزكّيَ نفسَه فقال ليسوعَ ومَن قريبي* فعاد يسوعُ وقال كان إنسانٌ منحدِراً من أورَشليمَ إلى أريحا فوقع بين لصوصٍ فعَرَّوهُ وجرَّحوهُ وتركوهُ بين حيٍّ وميْت* فاتَّفق أنَّ كاهناً كان منحدِراً في ذلك الطريقِ فأبصرَهُ وجاز من أمامه* وكذلك لاويٌّ وأتى إلى المكانِ فأبصرَهُ وجاز من أمامِه* ثمَّ إن سامريًّا مسافراً مرَّ به فلمَّا رآهُ تحنَّنَ* فدنا إليهِ وضمَّدَ جراحاتِه وصبَّ عليها زيتاً وخمراً وحملهُ على دابَّتِه وأتى به إلى فُندقٍ واعتنى

إلى اعتراف بطرس بيسوع في قيصريّة فيليبي، وذلك عبر قول الرسول: «أنت المسيح» (مر ٨:٢٩)، نجد إنجيل متى يتوسع في رواية هذه الحادثة، ولا سيّما في جواب بطرس والوعد الذي يُطلقه السيّد له: «فأجابَ سمعانُ بطرسُ وقال أنت هو المسيحُ ابنُ اللهِ الحيِّ، فأجابَ يسوعُ وقال له طوبى لك يا سمعانُ بن يونا، إنَّ لحماً ودماً لم يعلِن لك لكنَّ أبي الذي في السمواتِ. وأنا أقولُ لكَ أيضاً: أنت بطرسُ وعلى هذه الصخرةِ أبني كنيستي، وأبوابُ الجحيم لن تقوى عليها، وأُعطيكَ مفاتيحَ ملكوتِ السموات. فكلُّ ما تربطهُ على الأرضِ يكونُ مربوطاً في السموات. وكلُّ ما تحلّه على الأرض يكونُ محلولاً في السموات» (متى ١٦:١٦–١٩).

من الواضح أنّ هذا المقطع الإنجيليّ لا يتكلّم على ما أسبغته الكنيسة الغربيّة لاحقاً على بابا روما من صلاحيات إداريّة، وما ترسّب في المجمع الفاتيكاني الأوّل (١٨٧٠) من القول برئاسته المطلقة وعصمته. فالمصادر الآبائية في القرون الأولى تُجمع على أنّ الأساقفة مجتمعين، لا أسقف روما وحده، هم خلفاء بطرس، بمعنى أنّهم يشكّلون، كلّهم وكلّ منهم منفرداً، علامة قيام الكنيسة على أساس البشارة الرسولية بيسوع المصلوب والقائم من بين الأموات. والحقّ أنّ المفسّرين المحدثين، بمن فيهم السواد الأعظم من الشرّاح الكاثوليك، يأبون أن يجعلوا من هذا النص مطيّةً للنقاش اللاهوتي الذي دار، في ما بعد، حول صلاحيات أسقف روما، مشدّدين على أنّ فهم النص لا يتمّ إلاّ عبر احترام سياقه في إنجيل متى. هذا السياق يوحي بالخلفيّة الآرامية للحديث بين يسوع وبطرس، والتي لا تسمح بالتمييز بين لفظ «بطرس» ولفظ «صخر»، وذلك في قول يسوع: «أنت بطرس وعلى هذه الصخرة». فالأكيد أنّ كلمات السيّد الآراميّة كانت تحمل معنًى مزدوجاً، أي أنّه توجّه إلى بطرس باسمه الآراميّ «صفا»، الذي يعني «صخر» (أنت صفا / صخر وعلى هذا الصخر) مؤكّداً أنّ الكنيسة تُبنى على بطرس بوصفه صخراً. ولكن، ما هي كيفيّة هذا البناء؟ يذهب المفسّرون إلى أنّ السيّد يجعل من بطرس صخراً تُبنى عليه الكنيسة، لأنّ اعتراف إيمانه: «أنت المسيح ابن الله الحيّ» هو ما يؤهّله لأن يكون صخراً. بكلمات أخرى: بطرس هو الصخرة التي تُبنى عليها الكنيسة وهو المؤتمن على الحلّ والربط فيها، طالما هو ملتصق بالسيّد ومعبِّر، في قوله وسلوكه، عن هويّة يسوع، مسيانيّته وبنوّته لله، وذلك كما حدّد يسوع هذه الهويّة، ولا سيّما عبر ضرورة أن يمرّ ابن الله المسيّا بموت الصليب. هذا بالذات هو ما يفسّر الجزء الثاني من حوار يسوع مع بطرس في الإصحاح السادس عشر من إنجيل متى. فما أن يقع بطرس في تجربة أن يثني يسوع عن المضيّ إلى أورشليم والموت مصلوباً فيها حتى نجد يسوع يوجّه إليه أقسى العبارات: «فأخذهُ بطرسُ إليهِ وابتدأ ينتهرهُ قائلاً حاشاكَ يا ربّ، لا يكونَ لك هذا، فالتفتَ وقال لبطرسَ، اذهب عنّي يا شيطانُ، أنت معثرةٌ لي، لأنك لا تهتمُّ بما لله، لكن بما للناس» (متى ١٦: ٢٢–٢٣).

هذا التأرجح في قدرة بطرس على الالتصاق بيسوع كان الإنجيليّ متى قد مهّد له في حادثة السفينة (١٤: ٢٢–٣٣). فهناك يروي متى، دون الإنجيليين الآخرين، كيف أنّ يسوع أوعز إلى بطرس أن يأتي إليه ماشياً

بأمرِهِ* وفي الغدِ فيما هو خارجٌ أخرج دينارَيْن وأعطاهما لصاحبِ الفندقِ وقال لـه اعتنِ بأمرهِ. ومهما تُنفِق فوقَ هذا فأنا أدفعُهُ لك عند عودتي* فأيُّ هؤلاءِ الثلاثةِ تحسَبُ صار قريباً للذي وقع بين اللصوص* قال الذي صنعَ إليهِ الرحمة. فقال لهُ يسوعُ إمْضِ فاصنعْ أنتَ أيضاً كذلك.

تأمل

على المسيحيين المدعوين بالمسيح واجب واحد، أن يحفظوا نواميسه الإلهية ويرتبوا حياتهم وفقاً لإرادته. انه واجب مقدس يثقل كاهل البشر على اختلاف أعمارهم ومهما كانت أعمالهم، أسكنوا مجاهل الأرض أم استوطنوا صحاريها أم عاشوا في ضوضاء الحياة وغرقوا في ملذاتها.

ان تطبيق الحياة المسيحية ليست من الأعمال التي تفوق قوى الإنسان ما دام الإنسان يتقوى بالنعمة الإلهية. لو كان تطبيقها من الأمور التي تفوق القوى الإنسانية لما عوقب متجاوزو الوصايا المسيحية من الله.

على المياه. بيد أنّ قلّة إيمان بطرس وخوفه من الغرق منعاه من الوصول إلى السيّد مشياً على الماء. فما كان من يسوع إلاّ أن مدّ يده وأعان بطرس على دخول السفينة معه. لكنّ قلّة إيمان بطرس لا تمنعه من أخذ المبادرة، بحسب إنجيل متى، في أمور كثيرة، حتى لو أتى سلوكه على شيء من التسرّع. هكذا نجد بطرس يطلب من يسوع أن يفسّر للتلاميذ أحد الأمثال (متى ١٥: ١٥)، ويسأل سيّده عن مقدار التزام المسيحيّ بمبدأ الغفران (متى ١٨: ٢١)، ولا يستنكف عن السؤال عن أجره وأجر التلاميذ الآخرين، هم الذين تركوا كلّ شيء وتبعوا يسوع (١٩: ٢٧). فضلاً عن ذلك، يسكر بطرس برؤية سيّده متجلّياً على الجبل إلى جانب موسى وإيليا، فيقترح بناء ثلاث مظال ممنّياً النفس بالبقاء هناك، وذلك رغم كلّ ما كان يسوع قد أشار إليه من ضرورة صعوده إلى أورشليم وموته فيها.

المشهد الأخير الذي يقدّمه إلينا إنجيل متى عن بطرس هو نكرانه السيّد ثلاث مرات، قبل صلبه بقليل، رغم أنّه كان قد أكّد له أنّه لن يشك فيه البتّة (متى ٣٣:٢٦)، وما تلا هذا النكران من بكاء بطرس «بكاءً مرًّا» (متى ٧٥:٢٦). إنجيل متى، لا يتكتّم، إذاً، على ضعفات الرسول وأخطائه، وذلك رغم تشديده على المكانة الخاصة التي كان يتمتّع بها. فالمكانة لا يستمدّها بطرس من مزايا شخصيّته هو، بل من نعمة السيّد الذي أثبت، في كل وقت، استعداده لتقبّل حماس بطرس بإيجابيّة، بالإضافة إلى حرصه على تصحيح أخطائه، في كلّ مرّة كان بطرس ينزلق فيها إلى ما لا ينسجم وفكر المسيح، ولا سيّما عدم قدرته على فهم مركزيّة الصليب والموت في مسيرة يسوع الخلاصيّة. ينتج من هذا أنّ صورة بطرس في إنجيل متى لا يمكن حصرها في بُعدها التاريخيّ. فالإنجيل يقدّم بطرس، إلى حدٍّ ما، مثالاً على حال كل مؤمن، بمعنى أنّ كلّ واحد منّا يتأرجح في إخلاصه ليسوع، ولا يرأف به إلاّ السيّد الذي يمدّ إليه يده من خلف هياج الأمواج وزئير الريح، محوّلاً ضعفه إلى قوّة. بطرس الرسول في إنجيل متى، بالإضافة إلى كونه هامة الإثني عشر، يشكّل رسالة عزاء لكلّ مؤمن، تستمدّ فحواها من الإيمان بالناصريّ، الرب المصلوب والقائم من بين الأموات.

في الصلاة

ذكرنا سابقاً أنّ الصلاة تعيقها كثرة النوم والأكل والكلام والرفاهية؛ فإن كانت هذه الأمور تعيق الصلاة الفعّالة، إذاً من المؤكّد أنّ السهر والصوم والصمت والهدوء والزهد هي الأجنحة التي تجعل صلواتنا تحلّق أعلى.

السهر لا ينفصل عن حياة الصلاة. فكما أنّه لا يوجد طائر من دون أجنحة، لا يمكن أن توجد حياة صلاة من دون سهر. فإنّ ليلةً من دون ذكر الله هي كحديقة من دون أزهار، كشجرة من دون أثمار، كمنزل من دون سقف. عندما نصلّي ليلاً نكرّس ليلنا ليس فقط للراحة الجسديّة بل للراحة النفسيّة أيضاً. والصلاة الليليّة تجعل نومنا أهنأ لأنّ فعاليّة كلمات الصلوات تستمرّ مجمّلةً أحلامنا. يُقال إنّ القديس أرسانيوس الكبير كان يبدأ صلاته كل سبت مساءً عند غروب الشمس تماماً وكان يختمها متى شرقت شمس صباح الأحد، وهكذا كان يقيس وقت الصلاة.

لا أحد يجهل ان المسيحي الحقيقي ملزم بإتمام الوصايا المسيحية طوال حياته. من يقترب من المسيح يشتاق أن يتبعه في كل شيء ويصبح شوقه عهداً مقدّساً يقيّده مدى الحياة. الواجبات النابعة من تعليم المخلّص هي ملك مشترك لكل المسيحيين يحققها الذين يرغبون بتطبيقها وهي ضرورية، بدونها يستحيل على المرء أياً كان أن يرتبط بالمسيح. ما الفائدة إذا كانت الخطايا تملأنا، إذا كانت أعضاؤنا ميتة، ما الفائدة من كوننا ولدنا بالمسيح، ما الفائدة أن ندعى أولاداً لله؟ في هذه الحالات يخشى أن يصيبنا ما أصاب أغصان الكرمة التي قطعت من الكرمة الحقيقية لتلقى في النار ليبوسها.

من رغب في أن يحيا في المسيح وقرر ذلك عليه أن يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقلب الروحي وبرأس جسد الكنيسة، بالرب. إذا رغبنا ما يرغبه المسيح فسنحقق هذا الرباط الذي هو الكل في الكل في الحياة الروحية وإذا أردنا أن يكون قلبنا ملكاً للمسيح علينا أن نروّض إرادتنا ونهيء نفوسنا لتسر بما يُسرّ له.

القديس نقولا كاباسيلاس

إنّ النظام الغذائي البسيط والصوم يمنحان الذهن صفاءً والروح سهراً. فالإنسان الذي يأكل حتى التخمة لا يستطيع الصلاة كما أنّ الإنسان الجائع لا يقدر أن يصلّي. إذاً، يجب على الواحد منّا أن يأكل من دون أن يبقى جائعاً إنما ليس حتى التخمة.

الصمت هو زينة رجال الله الذين يقيسون كلماتهم ولا يستعملون ألسنتهم كأسلحة فتّاكة. فالإنسان الذي تتدفّق الكلمات من فمه يجد صعوبةً في أن يصلّي بفعاليّة. الثرثرة تربك وتتعب، أمّا الصمت فيركّز العقل ويريح النفس ويجعل الإنسان في استعداد دائم.

القديس مكاريوس المصري يقول إنّ حفظ أفكارنا والصلاة بهدوء وسلام هي أمور أساسيّة، أمّا القدّيس أفرام السرياني فيقول إنّ مَن يصلّي بنقاوة يمكنه إبعاد الشياطين وإحراقها أمّا مَن يصلّي باستخفاف وعدم اهتمام فيصبح أضحوكةً للشياطين.

إعتاد أحد الشيوخ الآثوسيين أن يقول للرهبان الشبّان: «لا تدخلوا في أحاديث مع أفكاركم وتخيّلاتكم»، كما كان شيخ آخر يقول: «تطير طيور كثيرة فوق قلاّيتي ولا يمكنني منعها، لكنّني أستطيع دوماً أن أمنعها من بناء أعشاشها على سقفي». أمّا القديس يوحنا السلّمي فيقول: «حتى ولو تشتّت فكرنا باستمرار خلال الصلاة يجب أن نكافح من دون انقطاع من أجل إعادته. فنحن لا نُحاكَم إذا تشتّ ت انتباهنا خلال الصلاة، بل إذا لم نحاول العودة عن ذلك».

إنّ «الأفكار والتخيّلات» التي تحدّث عنها الشيخ الأول تزعج الكثيرين منّا ويمكنها أن تكون عوائق جدّية في الصلاة، وللتخلّص منها يلزمنا جهاد طويل وشاقّ.

وعلى الرغم من أنّ هذه الأفكار والتخيّلات تكون في غالبيّة الأحيان غريبة عن طبيعتنا فإنها تصبح أليفة جداً بحيث تعشّش في داخلنا، فنعتاد عليها معتبرين إيّاها طبيعيّة. وسرعان ما نفقد تركيزنا عندما تأتي هذه الأفكار والتخيّلات لتزعج صلاتنا. قد لا تغادرنا هذه الأفكار عندما نرغب في أن تغادر، وخصوصاً متى كانت متعلّقة برغباتنا التي لا يمكن السيطرة عليها، وهذا دليل على ضعف في إرادتنا. لذلك، كما سبق وقلنا، قد يكون جهادنا طويلاً وشاقاً. فدعونا نكون صادقين ولا نحاولنّ إخفاء ضعفاتنا أو تعليلها.

صوم الميلاد

لقد رتَّبت الكنيسة أن يتهيأ أبناؤها، روحًا وجسدًا، لاستقبال الأعياد الخلاصية الكبيرة عبر الصوم والصلاة. في الصوم يروّض المؤمن نفسه وجسده الذي سيقوم في اليوم الأخير فيطرحا عنهما كل اهتمام دنيوي وثقل الشهوات لاستقبال ملك الكل. لذلك وفي إطار التهيئة الروحية لاستقبال عيد ميلاد ربنا ومخلّصنا يسوع المسيح بالجسد تبتدئ الكنيسة في الخامس عشر من تشرين الثاني صومًا يمتد لمدة أربعين يومًا يمتنع فيه المؤمنون عن تناول كافة أنواع اللحوم والدجاج والحليب ومشتقاته، ويُسمح خلاله بتناول السمك في ما عدا يومي الأربعاء والجمعة.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb